وبعد أن كانت الصحفية تحيا فى حدود ذكرياتها إذ بها تنتقل إلى عالم الماضى مع السيدة العجوز فى أعقاب الحرب العالمية الأولى .

والنتيجة الطبيعية لهذا كله أن زحف ماض لم تعشه الصحفية إلى حياتها الجديدة التى تغيرت تماماً إلى جارة طيبة وجدت نفسها مسئولة عن أم لها لم تلدها .

* * *

لم يستقبل النقاد فى بريطانيا رواية « جين سومرز » . ولم يسأل أحد عن هذه الكاتبة الجديدة التى اهتمت دار نشر كبرى بتقديم روايتها دون تعريف القراء والنقاد بالكاتبة التى ظهرت فجأة فى الحياة الأدبية فى العاصمة البريطانية .

ولكن « جين سومرز » لم تحفل بهذا التجاهل والإهمال واللامبالاة من الأوساط الأدبية . وأصدرت رواية ثانية اسمها « إذا استطاع الكبار » .

والرواية الجديدة مكملة للرواية الأولى .

البطلة تقدمت فى السن هذه المرة وأصبحت أيامها تتساقط كأوراق الخريف . وحولها أبناء أشقائها وشقيقاتها ، جواسيس عليها يراقبون كل تصرفاتها وأعمالها . ولا تستطيع أن تخطو خطوة إلا وقد حاسبت عليها نفسها ، قبل الحساب العسير الذى تلقاه من « الجواسيس » الشبان .

ومن خلال الرواية نجد أن البطلة تقدم نفسها كنموذج للكياسة واللياقة وحسن السير والسلوك بحيث تكون مثلاً أعلى للجميع ، وحتى يقلدها شباب الأسرة دون أن تلقى إليهم بنصيحة واحدة ، أو مواعظ ، تحول الرواية إلى موضوع إنشائى يكتبه طلبة المدارس .

ولأن البطلة لا تستطيع أن تحيا وحدها فإن بنات الأسرة يقمن معها فتتعرف على مشاكل الجيل الجديد الذى يعانى التمزق النفسى ، ويظل طول النهار وقد التصقت سماعة جهاز التسجيل بأذنيه تدوى فيها الموسيقى نهاراً وليلاً .

ومن خلال فارق السن ، والثقافة والخبرة ، والتجربة يلمس القارىء صراع الأجيال حيناً ، وتداخلها وتكاملها أحياناً .

وللمرة الثانية لا تنشر ـ عن جين سومرز وروايتها الجديدة ـ كلمة واحدة فى الصحف اليومية أو الأسبوعية وكذلك المجلات الأدبية المتخصصة .